

اللّسانيات العربية بين الحداثة والأصالة

Arab linguistics between modernity and authenticity

مروان مزواري^{1*}، عبد الباسط ماحي²

¹ جامعة تلمسان، الجزائر، mezouarimerouane1995@gmail.com

² جامعة تلمسان، الجزائر، mahiabdelbasset13@gmail.com

تاريخ النشر 2025/04/01	تاريخ القبول 2025/03/01	تاريخ الإرسال 2025/02/01
------------------------	-------------------------	--------------------------

الملخص

ليس غلوًا إذا قلنا إنّ الدّراسات اللّسانية الغربيّة ما هي إلّا امتداد واحتكاك للدّراسات اللّسانية العربيّة، فقد أضحيّ الأوّل باعثًا لما كان مكنونا من الدّراسات العربيّة التّراثيّة، وكان هذا الأخير سببا رئيسا لظهور عدّة تيّارات تنادي بالأصالة أو الحداثة، أو ما يعرف بالتأصيل أو التّجديد، فأصبح من الضّروري على الباحثين أن يتماشوا مع الدّراسات اللّسانية المعاصرة وبيان موقفهم من التّراث والأصالة.. كيف ذلك ؟

كلمات مفتاحية: اللّسانيات العربيّة، الحداثة، التّجديد، الأصالة، التّراث.

Abstract:

It is not a exaggeration to say that Western linguistic studies are only an extension and friction of Arabic linguistic studies, the first has become a source of what enabled us to have traditional Arab studies. The latter was the main reason for the emergence of several currents calling for originality or modernity, or what is known as rooting or renewal, so it became necessary for researchers to keep up with contemporary linguistic studies and to show their position on heritage and originality. How so?

Keywords: linguistics, modernity, renewal, originality, heritage.

★ المؤلف المرسل

1. مقدّمة:

شهد العالم اللّساني الغربي تقدّمًا معرفيًا في ذاته؛ حيث ظهرت دراسات ونظريات كانت مطيّة لظهور ما يسمّى بالمدارس اللّسانية، التي كرّست لنا الطّابع اللّساني المحض توجيهاً وتعليماً، فكراً وانتماءً، في حين كانت السّاحة اللّغوية العربية غير متّزنة مع المسار اللّساني الغربي الذي بثّ جملة من التّغيّرات، ممّا أدّى ذلك إلى ظهور توجّهات فكرية، غيرت المنظومة اللّسانية عموماً والتّفكير اللّساني خصوصاً، وكان هذا الأخير دافعاً رئيساً لانقسام السّاحة اللّسانية إلى مستحسن ومستنكر ومعتدل بين التّوجّهين، وإنّ قول المحدثين بأنّ الدّراسات العربية خلت من الأثر اللّساني وأنّ اللّسانيات ترعرعت في الحضارة الغربية، إنّما هذا تلفيق ومجافاة للواقع، وإنّ عدنا للسّاحة العربية نجد التّاريخ اللّغوي حافلاً وغنيّاً بالدّراسات اللّغوية التي تبحث في الظّاهرة اللّغوية من الوجهة الصّوتية والتركيبية والدّلالية.

2. تعريف اللّسانيات:

تعرف اللّسانيات بأنّها "الدّراسة العلمية للّغة"، ومعنى العلمية في هذا التّعريف، ينقسم إلى قسمين: الأوّل هو عدم إدخال الدّاتية أثناء دراستنا للظواهر اللّغوية، والثّاني هو تطبيق المنهج العلمي من ملاحظة ووصف وتفسير ومحاولة إيجاد قوانين عامّة تخضع لها البنية الألسنية البشرية على اختلافها.¹

كما يدرس اللّغويون اللّغة من جوانب مختلفة، باختلاف الأغراض والاهتمامات المختلفة، ممّا نشأ تفرّع للّسانيات، تمثّلت في:

◀ الجانب الأوّل وهو اللّسانيات العامّة واللّسانيات الوصفية، فالأولى تعنى بدراسة اللّغة باعتبارها ظاهرة بشرية تميّز الإنسان عن الحيوان، ونظاماً يتميّز عن الأنظمة الإبلاغية الأخرى، والثّانية تهتمّ بوصف اللّغة المعينة كالعربية والفرنسية في فترة زمنية معيّنة.

◀ الجانب الثاني وهو اللسانيات النظرية واللسانيات التطبيقية، فالأولى تهتمّ بعلوم اللغة التي موضوعها الظواهر اللغوية وحدها، كعلم الأصوات، وعلم الصرف، وعلم النحو... إلخ، أمّا الثانية فتهتمّ بتطبيق مفاهيم اللسانيات العامّة والوصفية ونتائجها على عدد من المهام العلمية، ولاسيما تدريس اللغة، ومن بين المواضيع التي تعالجها، نجد التخطيط اللغوي، تعلّم اللغة بالحاسوب، علاقة اللغة بالتربية، الترجمة والترجمة الآلية، اللسانيات الحاسوبية، صناعة المعاجم... إلخ.²

3. مفهوم اللسان من المنظور العربي:

لقد درج علماء العربية على إطلاق تسمية اللسان على علوم ودراسات معيّنة، فنجد "الفارابي" قد أطلق تسمية علم اللسان على فصل من كتابه "إحصاء العلوم"، وهو عنده على قسمين، أحدهما حفظ الألفاظ الدالّة عند أمة ما وعلى ما يدلّ عليه شيء ما، والثاني قوانين تلك الألفاظ³، أمّا "ابن منظور" فقد أطلق على معجمه اسم "لسان العرب"، وقد عقد "الفارابي" في كتابه الثاني "الحروف" بابا سمّاه "العلم اللسان" وقصد به اللغة.⁴

4. اللسانيات العربية ذات التوجّه التراثي:

1.4 عند القدماء:

ليس من الغلوّ في شيء إذا قلنا إنّ القرآن الكريم كان سببا في نشوء العلوم العربية، فقد كان هذا الأخير دافعا قويا للاهتمام به والنظر في معانيه والخوض في طبيّاته، لا سيما أنّه جاء كامل البيان، فصيح الألفاظ، جزيل العبارات، معجزا في نظمته ولفظه، كان خطّابا تحدّى به الله عزّ وجلّ قوما عرفوا بفصاحتهم اللسانية وقوّتهم في اللغة العربية، هذا ما جعل ثلّة من اللّغويين يبحثون في خصائص هذا الخطاب، الذي يسمّى بالخطاب الربّاني.

ومن البديهي أنّ منطلق الدّراسات اللّغوية العربية هو محاولة الابتعاد عن مشكلة اللّحن، وتحرّي اللّسان الفصيح في بوادي العرب عند أفواه المتكلّمين الأقحاح، ما جعل جماعة منهم يؤصّلون لقواعد تقوّم اللّسان العربي، بعدما اختلط العجم بالعرب، بعد انتشار الإسلام والفتوحات، وظهور اللّحن في ألسنتهم، ممّا أدّى ذلك إلى انتشاره وتسلّله إلى جدران الفصاحة العربية. فأثر فيهم سلباً، ما أدّى ذلك إلى زوال القرحة اللّسانية والمملكة اللّغوية الفطرية، فكانت هذه الجهود اللّبنة الأساسيّة الأولى في الجهود اللّغوية العربيّة. وقد أجمعت الدّراسات التي أرخت لنشأة الدّرس اللّغوي العربي أنّ "أبا الأسود الدّؤلي" (ت 69 هـ) ممّن له فضل السّبق في هذا المجال. فمن قال «إنّ أبا الأسود الدّؤلي وضع النّحو، فقد كان يقصد شيئاً من هذا، وهو أنّه وضع الأساس بضبط المصحف، حتّى لا تكون فتحة موضع كسرة، ولا ضمّة موضع فتحة، وجاء بعده من فهم النّحو على معناه الصّحيح، فاخترع تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، والاسم إلى ظاهر ومضمّر...»⁵.

ولئن كانت هذه هي البدايات الأولى لعلم النّحو، فإنّ مصطلح العربية أو علم العربية يعدّ البداية الأولى لتناول الظّواهر اللّغوية أو ما يعرف حديثاً بالنّحو العلمي، ودليل هذا أنّ الدّراسات اللّغوية الأولى اتّسمت بالشّمول، أي دراسة اللّغة العربية صوتاً وصرفاً ونحوا ودلالة، ومن خلال هذه النّظرة الشّاملة القائمة على أصول ومبادئ نظرية وتحليلية⁶، وهذا ما نسب إلى الدّارسين الأوائل للّغة العربية مثل: "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي" المتوفّى سنة 117هـ، و"أبي عمرو بن العلاء" المتوفّى سنة 154هـ، و"الخليل بن أحمد الفراهيدي" المتوفّى سنة 175هـ، تلميذه "سيبويه" المتوفّى سنة 180هـ، الذي يعدّ أول من وضع علم اللّغة العربيّة، أمّا مصطلح اللّحن فقد ظهر متأخراً وقرن بالمنهج التّعليمي، وهناك من الباحثين من يرى أنّ مصطلح النّحو يحمل دلالة أوسع من هذه النّظرة المحدودة التي تجعل منه الجانب التّعليمي فقط، لما أنتجه العقل العربي، فمصطلح النّحو هو المقابل لما يطلق عليه اليوم باللّسانيات العربيّة.⁷

ولعلّ الأنسب أن يقال إنّ التّقسيم المشهور للنّحو والذي يعبر عنه بفترتين متباينتين في تاريخ الجهود اللّغوية العربية؛ حيث نجد مصطلح النّحو العلمي معبراً عن الجهود الأولى حتّى ظهور كتاب "سيبويه"، وهي الأجدر أن تقابل مصطلح اللّسانيات العربية، وهذا هو الصّحيح والسّديد من القول، أمّا ما جاء بعد "سيبويه" من جهود لشرح الكتاب فهو المقصود في الفقرة السّابقة، والذي يطلق عليه بالنّحو التّعليمي، وأمّا مصطلح علم اللّغة، فإنّه يستخدم في التّراث العربي للدّلالة على دراسة اللّغة والألفاظ ومدلولاتها وتصنيفها في معجمات وكتب⁸، وهذا ما نجده عند "ابن جيّ" حينما اعتنى بمباحث ثلاثة:

1.1.4 دراسة اللّغة ووظيفتها:

يرى "ابن جيّ" «أنّ اللّغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم»⁹، وقد اتّبع سبيل هذا غير واحد من علماء اللّغة العربية، وأجمع عليه جميع الدّارسين. وقد أشار "ابن جيّ" إشارة بيّنة إلى اللّسان حينما كتّاه باللّغة، وبالتّالي فإنّ "ابن جيّ" كان من الأوائل الذين فتقوا بالبحث اللّساني العربي، حين اهتمّ بدراسة الأصوات ووظيفتها وأقسامها في كتابه "الخصائص".

ويقول "ابن خلدون" في تعريف اللّغة: «هي ملكة في اللّسان، وكذا الخطّ صناعة ملكتها في اليد»¹⁰، فابن خلدون صرّح بأنّ اللّغة ما هي إلّا ملكة، وهي لا تتأتّى إلّا من خلال المران والدّربة والممارسة الدّائمة للنّاطق بها.

علاوة على ذلك فإنّ "ابن جيّ" جعل اللّغة وظيفة اجتماعية ومعرفية وتواصلية، وهذا ما نلمسه في قوله "يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم".

ويوافقه "ابن سنان الخفاجي" في تعريفه للّغة، إذ قال أنّ اللّغة ما تواضع القوم عليه من الكلام¹¹، وقد جمع "ابن خلدون" اللّغة والخطّ، وأرسى قاعدة مفادها أنّ المران والدّربة عنصران رئيسان لتحقيق الملكة اللّغوية.

«فإدراك "ابن جني" لصوتية اللغة يتفق مع ما جاء به المحدثون من الغرب من تحديد اللغة بأنها رموز أو علامات رمزية ذات دلالة معينة».¹²

2.1.4 نظرية نشأة اللغة:

«انتقل العلماء العرب قديما ما بين فقهاء العربية، وعلماء الاجتماع، والفلسفة، والمفسرين، إلى مسألة كانت مثار جدل ونقاش بينهم، وهي مسألة نشأة اللغة الإنسانية الأولى، ممّا أثر بعضهم وجوب غلق هذا الباب عن الحديث فيه؛ حيث قامت الجمعية اللغوية بباريس بإغلاق باب المناقشة في هذا الموضوع، وقد تناوله "فيرث" باختصار، على سبيل أنّ الكلام فيه نوع من الفلسفة اللغوية، التي قد يكون من المفيد إمام طالب علم اللغة بها. والواقع أنّ ما ذهب إليه العلماء الغرب من وجوب غلق هذا الباب، وعدم طرقه مسبقا لدى بعض باحثي العرب».¹³

يقول "السيوطي" في "مزهرة": «قال في رفع الحاجب: الصحيح عندي أنّه لا فائدة من هذه المسألة وهو ما صحّحه "ابن الأنباري". ولذلك قيل ذكرها في الأصول فضول...»¹⁴، ومن هذه النظريات نظرية المحاكاة أصوات الطبيعة والأشياء، وتسمّى هذه النظرية عند المعارضين بـ the bow woney، وكان "ابن جني" ورفاقه قد اهتموا لهذه النظرية، فنجدده يقول: «ذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلّها إنّما هو من الأصوات المسموعات، كدويّ الرّيح، وحنين الرّعد، وخير الماء، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الضّبي، ثمّ تولّدت اللّغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل».¹⁵

3.1.4 العلاقة بين اللفظ ومدلوله:

إنّ المطّلع على كتاب "ابن جني" يرى جليّا فكرة علاقة اللفظ بالمدلول؛ وإنّ الناظر في كتابه يرى بأنّه قد عقد فصولا أربعة في "الخصائص"، مبينا الصّلة بين اللفظ

والمعنى، وهي كالتالي: الاشتقاق الأكبر، ويسمى الاشتقاق الكبير، ويقصد به كما قال "ابن جني": «أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه».¹⁶

«ومن أمثلة ذلك مادة (ج ب ر) التي تدلّ على الشدة والقوة، منها: جبرت العظم إذا قوته، والجبروت، ورجل مجرب، إذا جربته الأمور واشتدتّ شكيمته، والبرج لقوته، والأبجر القويّ السرة، والجرب لأنه يحفظ ما فيه».¹⁷

«والاشتقاق ذو أهمية في اللغات، خاصة اللغات السامية، الذي يعتبر من خصائصها، وميزة العربية، والطريقة المألوفة فيها في صوغ الكلمات وتوليد الألفاظ الدالة على المعاني المتنوعة. وإن كان المستشرق "فردناند وستنفلد" ناشر كتاب الاشتقاق "لابن دريد" عام 1854م، قد عاب على الاشتقاق، واعتبره نقطة ضعف في اللغة العربية؛ حيث يقول في هذا الشأن: "إنّ علم الاشتقاق من نقط الضعف في تاريخ الثقافة العربية، لأنّ الاشتقاق يتطلب الاطلاع على مختلف اللغات المتقاربة حتّى تفهم مكانة الكلمة لغويّاً، وعلاقتها بغيرها"، فقلوله هذا لأنّه يعامل الاشتقاق في العربية معاملة الايتمولوجيا (علم أصول الألفاظ) وهو العلم الذي يعنى بتاريخ الكلمة، وجوهرها المشتمل على أصلها، واشتقاقها، والتثبت من أقدم صيغة للكلمة والصيغ المقابلة والمقاربة لها، ومقارنة كل صوت في الكلمة مع الصوت الذي يماثله في الصيغة التي اشتق منها، مع شرح أيّ تطوّر يطرأ على المعنى مع الزمن».¹⁸

كما أنّ "الخليل" حاول إجادة علاقة اللفظ بمدلوله؛ حيث جاء في "التّهذيب": «ويقول "الخليل بن أحمد": كأتهم توهّموا في صوت الجندب استطالة ومدّا، فقالوا صرّ، وتوهّموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر»¹⁹، فالخليل هنا أراد أن يسقط

صورة اللفظ (ذلك الصوت...) على صورة المعنى (الاستطالة والمدّ) ، فأوجد بينهما تشبيها سمّاه فقهاء اللغة بنظرية محاكاة الطبيعة.

وقال "سيبويه" أيضا في المصادر التي جاءت على وزن (الفعْلان) أنّها تأتي للاضطراب والحركة نحو: (النَّفَران) و (الزَّوران) و (الغثيان) و (الغليان)، فقالوا بتوالي الحركات الفعال²⁰ ، «فسيبويه هنا أشار إلى أنّ المصادر التي تكون على وزن فعْلان، تصوّر الحركات التي تصاحب الحدث، وهذا ربط بين الصوت ومدلوله».²¹

وبالتّالي نخلص إلى أنّ علماءنا القدامى السّابقين أثبتوا أنّ العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة اعتباطية، فابن جنيّ أثبت أنّ لكلّ صوت في العربية دلالة ذاتية، وقيمة تعبيرية.

2.4 عند المحدثين (عبد الرحمن الحاج صالح):

شهد الدّرس اللّساني انتشارا رهيبا عند الدّراسين العرب منذ معرفتهم بحصيلة الثّقافات الغربية في هذا المجال، ممّا أدّى هذا إلى التّأثير على توجّهاتهم الفكرية في تناول القضية اللّغوية، فانقسموا بين متشبّث للتراث والأصالة ومناد للانفتاح والحدّثة في البحث اللّغوي، وفريق معتدل بينهما، حاول الجمع بين التّراث والحدّثة.

إنّ المطّلع على البحوث اللّسانية العربية يدرك جليّا أيّما إدراك مدى سعي روّادها في النّظر إلى القضايا اللّغوية في قالبها المعاصر أو مقابلة ما جسّده اللّغويون القدامى من خلال مصتفاتهم وإخراجها في صورة عصرية، يغلب عليها طابع الحدّثة، ضمن هذا التّوجّه كلّها ظهرت أعمال لسانية حديثة، تدافع عن التّراث وتسعى لوضع نظرية لسانية

عربية الهوية بطريقة عصرية، كان هذا كله في أعمال الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، الذي كان له إسهام كبير في إحياء الدرس اللغوي التراثي، الذي التفت عنه كثير من الدارسين المعاصرين، ويظهر هذا في نظريته النظرية الخليلية التي بث فيها أفكار التراث العربي بطريقة علمية.

«كما يشمل الدرس اللساني العربي جميع العلوم التي تناولت اللغة العربية بالدراسة والتحليل، فيندرج ضمنها جهود النحاة والبلاغيين وعلماء اللغة والأصول والتفسير، كما ننطلق من فكرة مفادها أنّ هؤلاء اللسانيين لم يحركهم الوعي بالتراث في ذاته، بل كان يحركهم النظريات الغربية التي كان يستشف منها هؤلاء مناهجهم ومفاهيمهم، ولذلك كانت جلّ الدراسات التي قدّموها تتسم بالتجريبية على حدّ تعبير عز الدين المجذوب، في مستهلّ قوله بأنّه كاد يجمع ناقدو التراث على أنّ بالنحو عيوباً تجعل إصلاحه وإعادة النظر فيه ضرورة ملحة ومهمّة أساسية من مقتضيات عصرنا ومستلزمات نهضتنا، وقد بدا لنا أنّ عيها يتّصف بالتجريبية، والمقصود بالتجريبية هنا قلة التّنظير للممارسة العلمية وعدم وعي الباحث بالمسلّمات التي ينطلق منها، وعدم التّفكير غيماً يقتضيه التسليم بها من مستلزمات ونتائج فرعية».²²

1.2.4 التعريف بالنظرية الخليلية الحديثة:

تظهر في إطار التوثيق بين القديم والحديث، وهي نسبة للخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي لم يهتم بها المعاصرون، إلّا بعدما جاء العلامة الجزائري "عبد الرحمن الحاج صالح"، ليرز هذه العبقرية في نظرية لغوية تحليلية، تهتمّ بالبنى اللغوية في الوضع، وعكس فيها فكر الخليل الرياضي في تأسيس النحو العربي على معطيات رياضية لا تحتمل الخطأ. وهي نظرية لسانية عربية ظهرت خلال الربع الأخير من القرن العشرين، وهي رمز للتّراث العربي الأصيل، الذي جسّد "الخليل" ومن سار بعده، نحو "الأخفش" و "ابن جنّي" و "الجرجاني".²³

2.2.4 المفاهيم الأساسية التي تركز عليها النظرية الخليلية الحديثة:

تنطلق هذه النظرية من منطلقين أساسيين، هما «لا يفسّر التراث إلاّ التراث، فكتاب سيبويه لا يفسّره إلاّ كتاب سيبويه، ومن الخطأ أن نسقط على التراث مفاهيم وتصوّرات دخيلة تتجاهل خصوصيات النوعية. والمنطلق الثاني هو أنّ التراث العربي في العلوم الإنسانية عامّة واللّغوية خاصّة ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع، فهناك تراث وتراث»²⁴.

3.2.4 مفهوم الأصالة عند عبد الرّحمن الحاج صالح:

إنّ قضيّة الأصالة والحداثة في الفكر العربي قد أسالت الكثير من الحبر، لدرجة أنّها قد أبعدت الباحثين عن ما يسعى بروح البحث العلمي وعدم التزامهم بالموضوعية العلمية، إمّا تعصّباً للتّراث أو اتّباعاً لما نادى به الغرب، فقام الصّراع بين هذا وذاك في مجال البحث في اللّغة، خاصّة عندما يكون الموضوع متعلّقاً بالتّراث اللّغوي العربي، وقد جاءت محاولة تحديد مفهوم دقيق لمصطلح الأصالة عند "عبد الرّحمن الحاج صالح" كإجابة عن تساؤل مهمّ وجوهري، عرفته ساحة البحث اللّغوي العربي الحديث، ومكمن هذا السّؤال هل إذا ما تأثّر المثقّفون العرب بمستجدّات البحث اللّغوي في العصر الحديث، فإنّ ذلك يمسّ بالأصالة، ونجده يخالف الاعتقاد الشّائع عند الباحثين أنّ الأصالة هي مقابل الحداثة أو المعاصرة، إذ أنّها تقابل في الحقيقة أيّاً كان المقلّد المحتذى به، سواء كان العلماء العرب القدامى أو العلماء الغربيين، إذ الأصيل هو الذي لا يكون نسخة لغيره، والأصالة في زماننا هذا وعلى هذا الأساس هي الامتناع من تقليد الغربيين خاصّة.²⁵

وبهذا يكون التّقليد منبوذا مهما كان مصدره، فالبحث اللّغوي الأصيل هو الذي يسعى إلى الإبداع والابتكار وعدم أخذ آراء الآخرين مأخذ القداسة وعدم تقبّل مناقشتها مع أنّه في الآن ذاته يقرّ أنّه لا يمكن لأيّ حال أن يتحقّق الابتكار الكلّي، دون حاجة إلى

ما تحقّق سابقاً، ومنه لا يمكن استخلاص مفهوم للأصالة على أنّها تكمن في عدم الاطمئنان مقدّماً وقبل النّظر إلى كلّ ما يصدر من الغير، حتّى يقوم الدّليل الذي يحمل الإنسان، بل يجبره على تقبّل أقوال غيره.²⁶

5. واقع اللّسانيات عند الغرب:

إنّ المصطلحات اللّسانية كانت متفاوتة المعاني عند "دي سوسير"، ونلمس هذا في تفريقه بين مصطلح اللّغة langage واللّسان langue والكلام parole، ورأى "دي سوسير" أنّ اللّغة نظام من العلامات، وتسمّى الأصوات التي يحدثها جهاز النّطق الإنساني، وتدرك بواسطة الأذن، فاللّغة عنده هي نتاج اجتماعي للمملكة اللّسانية ومجموعة من القواعد الضّروية والتّقاليد الأصليّة التي يحتويها مجتمع ما، ليعين أفرادها على ممارسة هذا الكلام.²⁷

فالكلام ممارسة إنسانية، تختلف من مجتمع لآخر، لأنّه ميراث تاريخي محض للجماعة، ولأنّه نتاج الاستعمال الاجتماعي الذي استمرّ أمداً من الزّمن.²⁸

كما أنّ الكلام عمل يقوم على الفرد وهو عقليّ مقصود، ومجمل القول أنّ "دي سوسير" جعل اللّغة في الجانب النّظري والكلام في الجانب التّطبيقي، وقد أدرك اللّغويون العرب هذا الفرق، حينما اصطلح "الجرجاني" على اللّغة بمصطلح علم اللّغة، وعلى الكلام بمصطلح الوضع اللّغوي، فنجدّه يقول: «واعلم أنّا لم نوجب المزيّة من أجل العلم بأنفس الفروق، والوجوه، فنستند إلى اللّغة، ولكن أوجبناها للعلم بمواضعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأنّ الواو للجمع والفاء للتّعقيب بغير تراخ، و (ثمّ) به بشرط التّراخي و (أن) لكذا و (إذا) لكذا، ولكن لأن يتأتّى لك إذا نظمت شعراً وألّفت رسالة أن تحسن التّخيّر وأن تعرف لكلّ من ذلك موضعه».²⁹

«رَكَزَ البحث على واقعه الحديث لا القديم؛ ذلك أَنَّ القديم في نظر كثير من الباحثين (سوسير مثلا) لا يندرج ضمن اللسانيات، نظرا لغياب الموضوع وغياب المنهج الذي يجب أن يعالج فيه، يضاف إلى هذا أَنَّ الفكر اللساني الغربي اكتسب هذه الحركة التَّطَوُّرية اللَّافِتة للنَّظر، بعد تبنّيه للمفاهيم والمساطر التي أرساها "دي سوسير" لا قبله، فقد عرفت اللسانيات الحديثة طوال القرن العشرين ثلاث سنوات كبرى: ثورة بنيوية بدأت مع دي سوسير، وثورة توليدية تحويلية تحت لواء "تشومسكي"، وثورة تبليغية تواصلية بزعامة "هايمس" و"ويليام لابوف".³⁰»

«لقد جعل "تشومسكي" موضوع اللسانيات هو اللسان، ويريد به تلك الملكة التي يتميَّز بها الكائن البشري عن بقيّة الكائنات، فموضوعها هو الملكة أو القدرة؛ حيث يقوم بوصفها وتوضيحها، ومنه يقول أيضا: إنّ الموضوع الأوّل للنَّظرية اللسانية هو المتكلم المستمع المثالي المنتهي لعشيرة لغوية متجانسة كليّا، والذي يعرف لغته، وعندما يطبّق معرفته هذه في إنجاز فعلي، فإنّه لا يخضع للشروط النَّحوية غير الملائمة كقصور الذاكرة أو عدم الانتباه أو الأخطاء». ³¹

«وفي هذا الصّدّد يرى "لابوف" أَنَّ موضوع اللسانيات ليس هو القدرة اللغوية كما يحدّدها "تشومسكي"، وإنّما هو دراسة البنية اللغوية وتطوّرها في خضمّ السّياق الاجتماعي الذي تشكّله العشيرة اللغوية». ³²

كما شهد البحث اللساني الغربي تدقيقا في المفاهيم وتوضيحا للرؤية وتوسيعا للمدارك، ممّا شهد ثلاث مراحل، تتمثّل في مرحلة الدّاليات، والتي ركّزت على تقطيع العلامات اللغوية (جمل، كلمات) وتفتيتها إلى عناصرها الأساسية، باحثة عن العلاقات المنظّمة لها والقوانين الدّاخلية المتحكّمة فيها، والمرحلة الثّانية المتمثّلة في الدّاليات، وهي التي تكتفي بوصف الظّاهرة اللغوية وتصنيفها انطلاقا من مدوّنة لغوية محدودة، في حين المرحلة الأخيرة المتمثّلة في التّداوليات، والتي بدأت تتّضح معالمها مع رّواد

الفلسفة والمنطق، أمثال: "فريج" و "راسل"، وهم الذين حاولوا التمهيد لتداوليات نظرية، انطلاقاً من فكرة المعارف والعلاقات الاجتماعية.³³

6. واقع اللسانيات العربية عند الوصفيين (تمّام حسان):

إنّ الجهود اللسانية العربية في مجملها كانت مركزة على حصيلة احتكاك أصحابها برواد المدارس الغربية، وإذا ما نظرنا إلى ما قدّمه "تمّام حسان" من جهود في حقل الدّراسات اللّغوية العربية، فإنّنا نجده يصحّ بالمنهج الوصفي، إذ بنى جلّ أعماله وفق هذا المنهج، وقد أشار إلى ذلك في تقديمه لاثنتين من مؤلّفاته، وهما "مناهج البحث في اللّغة" و "اللّغة العربية معناها ومبناها"، فقد قال في الأوّل ولكيّ لا أستطيع أن أغمط حقّ النّظرية التي بنيت عليها هذه الدّراسة وهي نظرية جاءت نتيجة تجارب القرون في الغرب، فهيكلمها غربي وتطبيقها على اللّغة العربية هو القسط الذي أنا مسؤول عنه في هذا الكتاب.³⁴

«ويشير إلى أنّ الغاية التي من أجلها جاء الكتاب الثّاني هو أن ألقي ضوءاً جديداً كاشفاً على التّراث اللّغوي العربي، كلّه منبعثاً من المنهج الوصفي في دراسة اللّغة، وهذا التّطبيق الجديد للنّظرية الوصفية في هذا الكتاب يعتبر أجراً محاولة لإعادة ترتيب الأفكار اللّغوية، تجري بعد "سيبويه" و "عبد القاهر الجرجاني"»³⁵، وهذا ما يرسم المنهج العام الذي اعتمده "تمّام حسان" في مختلف الجهود اللّغوية، التي استحدثها في حقل الدّراسات اللّغوية العربية، ففلسفته اللّغوية مبنية على المنهج الوصفي.

تتميّز خصائص البحث اللّغوي عند "تمّام حسان" من خلال مناقشة مواقفه تجاه التّراث اللّغوي العربي، فالمطلّع على أعماله يجد عدداً من الملاحظات التي تظهر مدى اطلاعه على جهود العلماء الأوّل، ولكنّه أبى أن يقدّم تلك الملاحظات في شكل تقليدي، بل حاول المنزج بين التّراث والمعاصرة بتقديمه لقراءة جديدة للتّراث اللّغوي العربي وفق المنهج الوصفي.

7. خاتمة:

وممّا نصل إليه، لا يسعنا إلا أن نقول: إنّ موضوع اللّسانيات العربية كان محلّ اهتمام الدّارسين القدامى والمحدثين، كما سبق عرضه في هذه الوريقات البحثية، ومن خلال ما سبق فإنّنا نخلص إلى بعض النّقاط، نجملها في ما يلي:

◀ اللّسانيات هو العلم الذي يدرس الظّاهرة اللّغوية دراسة آنية علمية موضوعية.

◀ اللّسان مصطلح قديم، ظهر مع ثلّة من علماء العرب، كالفارابي وابن منظور وابن خلدون.

◀ إنّ الخطاب القرآني كان الدّافع الأساس لنشوء الدّراسات اللّغوية العربية.

◀ إنّ مصطلح علم العربية كان يقصد به في المراحل المتقدّمة الأولى بدراسة الظّاهرة اللّغوية صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة.

◀ إنّ مصطلح العلم النّحوي المعبّر به عن الجهود الأولى للّغويين حتّى ظهور كتاب "سيبويه" هو الأجدر والأنسب أن يطلق عليه مصطلح اللّسانيات العربية، ولعلّ هذا هو سديد الأقوال والأقرب إلى الصّواب.

◀ إنّ "ابن جنّي" كان لسانياً من الدّرجة الأولى حين وصف اللّغة بأنّها أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، ويظهر ذلك أيضاً باهتمامه بالأصوات ووظيفتها.

◀ شيوع الدّرس اللّساني عند الحاج صالح في نظريته النّظرية الخيلية.

◀ إنّ المطّلع على دراسات الحاج صالح يدرك أيّما إدراك مدى تمسّكه بالتّراث والذبّ عنه، ويظهر هذا في كتابيه "السّماع اللّغوي" و "منطق العرب".

◀ إنّ الحاج صالح أظهر مدى براعة العقل العربي وبلور جهود القدامى بطريقة عصرية، حين جمع بين الحداثة والتّراث بأسلوب رياضي.

◀ إنّ الأصالة عند الحاج صالح هي تلك النّسخة الأصلية التي لم يسبق إليها، سواء أكانت في الرّمن القديم أم في زماننا هذا.

◀ كان تمام حسان ميّالا في المنهج الغربي في دراسته للظاهرة اللّغوية، والمتمعّن في نظريته يتّضح له ذلك أيّما اتّضح.

8. الهوامش:

- ¹ - ينظر: سرير عبد الله فوزية، مدخل إلى اللّسانيات التّطبيقية، جامعة البليدة، ص 01.
- ² - ينظر: المرجع نفسه، ص 01-02.
- ³ - ينظر: الفارابي، إحصاء العلوم، تح: عثمان أمين، القاهرة، دار الإنماء القومي، دت، ص 57.
- ⁴ - ينظر: الفارابي، كتاب الحروف، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006م، ص 78.
- ⁵ - أمين أحمد، ضحى الإسلام، القاهرة، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، 2012م، ج 1، ص 608-609.
- ⁶ - ينظر: بوقرة نعمان، اللّسانيات اتّجاهاتها وقضاياها الرّاهنة، إربد، عالم الكتب الحديث، 2009م، ص 203.
- ⁷ - ينظر: بن عبد الكريم جمعان، التّطوّر الإبتيمولوجي للخطاب اللّساني، لبنان، دار الفارابي، 2010م، ص 40.
- ⁸ - ينظر: داود محمد محمد، العربية وعلم اللّغة الحديث، القاهرة، دار غريب، 2008م، ص 84.
- ⁹ - ابن جيّ، الخصائص، 1/43.
- ¹⁰ - ابن خلدون، المقدّمة، تح: عبد الواحد وافي، القاهرة، 1967م، ص 1252.

- ¹¹ - ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، مكتبة الخانجي، 1994م، ص 43.
- ¹² - محفوظ محمد العبسي نجلاء، جهود القدامى العرب في ضوء الدّراسات اللّسانية الحديثة، حولية كلية الدّراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، المجلّد 07، العدد 32، د ت، ص 438-439.
- ¹³ - المرجع نفسه، ص 439.
- ¹⁴ - السيوطي، المزهري في أنواع اللّغة، ج 1، ص 26.
- ¹⁵ - ابن جيّ، الخصائص، ج 1، ص 36-37.
- ¹⁶ - ابن جيّ، الخصائص، ج 2، ص 134.
- ¹⁷ - المرجع نفسه، ج 2، ص 135.
- ¹⁸ - محفوظ محمد العبسي نجلاء، جهود القدامى العرب في ضوء الدّراسات اللّسانية الحديثة، ص 448.
- ¹⁹ - الأزهري، تهذيب اللّغة، تح: أحمد عبد الحليم البردوني، مراجعة: علي البجاوي، الدّار المصرية للتأليف والترجمة، د ت، ج 12، ص 106.
- ²⁰ - ينظر: سيويه، الكتاب، بولاق، المطبعة الأميرية، 1317هـ، ج 2، ص 218.
- ²¹ - محفوظ محمد العبسي نجلاء، جهود القدامى العرب في ضوء الدّراسات اللّسانية الحديثة، ص 450.
- ²² - المرجع نفسه، ص 255-256.
- ²³ - ينظر: نعلوف، محاضرات في اللّسانيات العربية، ص 27.
- ²⁴ - المرجع نفسه، ص 28.
- ²⁵ - ينظر: الحاج صالح عبد الرّحمن، الأصالة والبحوث اللّغوية الحديثة ضمن كتاب بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، الجزائر، موفم للنّشر، 2007م، ج 1، ص 11.
- ²⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 12.

²⁷ - ينظر: دي سوسير فرديناند، علم اللّغة العام، تر: يونيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلي، دار آفاق عربية، 1985م، ص 27.

²⁸ - ينظر: السّعران محمد، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، ص 57.

²⁹ - الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: عبد الحميد هنداي، 1422هـ/2001م، ج 1، ص 165.

³⁰ - الرّايدي بودرمة، اللّسانيات العربية واللّسانيات الغربية -توصيف للواقع، مجلّة العلوم الاجتماعية، العدد 20، جوان 2015م، ص 252.

³¹ - المرجع نفسه، ص 253.

³² - المرجع نفسه، ص 253.

³³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 253-254.

³⁴ - ينظر: حسّان تّمّام، منهج البحث في اللّغة، الدّار البيضاء، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع، 1986م، ص 13.

³⁵ - المرجع نفسه، ص 10.

9. قائمة المراجع:

الكتب:

1. ابن جنّي، الخصائص.
2. ابن خلدون، المقدّمة، تح: عبد الواحد وافي، القاهرة، 1967م.
3. ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، مكتبة الخانجي، 1994م.
4. الأزهرى، تهذيب اللّغة، تح: أحمد عبد الحليم البردوني، مراجعة: علي البجاوي، الدّار المصرية للتّأليف والترجمة، د.ت.
5. أمين أحمد، ضحى الإسلام، القاهرة، مؤسّسة هنداي للتّعليم والثّقافة، 2012م.
6. بن عبد الكريم جمعان، التّطوّر الإبتيمولوجي للخطاب اللّساني، لبنان، دار الفارابي، 2010م.

7. بوقرة نعمان، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الرّاهنة، إربد، عالم الكتب الحديث، 2009م.
8. الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: عبد الحميد هندراوي، 1422هـ/2001م.
9. الحاج صالح عبد الرحمن، الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة ضمن كتاب بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، موفم للنشر، 2007م.
10. حسان تّمام، مناهج البحث في اللّغة، الدّار البيضاء، دار الثقافة للنّشر والتّوزيع، 1986م.
11. داود محمد محمد، العربية وعلم اللّغة الحديث، القاهرة، دار غريب، 2008م.
12. دي سوسير فرديناند، علم اللّغة العام، تر: يونيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار آفاق عربية، 1985م.
13. سرير عبد الله فوزية، مدخل إلى اللّسانيات التّطبيقية، جامعة البليدة.
14. السّعران محمد، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي.
15. سيبيويه، الكتاب، بولاق، المطبعة الأميرية، 1317هـ.
16. السيوطي، المزهر في أنواع اللّغة.
17. الفارابي، إحصاء العلوم، تح: عثمان أمين، القاهرة، دار الإنماء القومي، د.ت.
18. الفارابي، كتاب الحروف، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006م.
19. نعلوف، محاضرات في اللّسانيات العربية.

ثانيا: المقالات

20. الزّايدي بودرامة، اللّسانيات العربية واللّسانيات الغربية -توصيف للواقع، مجلّة العلوم الاجتماعية، العدد 20، جوان 2015م.

21. محفوظ محمد العبسي نجلاء، جهود القدامى العرب في ضوء الدّراسات اللّسانية الحديثة، حولية كلية الدّراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، المجلّد 07، العدد 32، د.ت.